

العراقيون والاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٤ - ١٩١٨

د. معدود هادي الروسان
جامعة اليرموك

اولا - مدخل :

أ - المصالح البريطانية في العراق :

جاء احتلال بريطانيا للعراق خلال سنوات الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) تنويجا لمصالحها الرامية الى ادخاله في دائرة نفوذها ، تأمينا لمصالحها الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية ، الماثلة أو المحتملة . فبين القرن السابع عشر ومطلع القرن العشرين نشأت في العراق مصالح اقتصادية بريطانية في مجالات الاستيراد والتصدير ، والنقل البري والنهري والتجاري والبريدي . وكان الاحتمال كبيرا في قيام مصالح أخرى في مجالات استغلال المعادن والنفط والزراعة (١) .

ولقد عدت الدوائر البريطانية « الهندية خاصة » العراق امتدادا جغرافيا وسياسيا واقتصاديا لمنطقة الخليج العربي . فبغداد كما قال كيرزون نائب الملك في الهند عام ١٨٩٢ « تقع ضمن موانئ الخليج العربي ويجب أن تدخل ضمن السيادة البريطانية التي لا نزاع فيها » (٢) .

وتتضح أهمية موقع العراق الاستراتيجية مما قاله رئيس أركان الجيش النمساوي كوهنفيلد Kohen Field : أن وادي الفرات الممتد عرضا بين خليج الاسكندرونة ورأس الخليج الفارسي (العربي) كقطر لجسم رباعي ، زاويتاه الفريتان على البحر المتوسط وزاويتاه الشريقتان على بحر قزوين والخليج الفارسي (العربي) هو ملتقى جميع الطرق المؤدية للخليج ، ولذلك فإن القبض على هذا الوادي يؤدي حتما الى السيطرة على جميع الاراضي الواقعة ضمن هذا الجسم الرباعي (٣) .

كذلك فان اطماع بعض الدول الاوروبية ، كفرنسا وروسيا والمانيا ، بمنطقة

دراسات تاريخية ، العددان ٤٧ و ٤٨ ، ايلول - كانون الاول ١٩٩٢ .

الخليج العربي زادت من اهتمام بريطانيا فيها . وفي حين جاء التحدي للمصالح البريطانية - من حملة نابليون على مصر ١٧٩٨ وحتى عام ١٨٧٠ - من فرنسا وروسيا ، فانه جاء في الفترة التالية ، ١٨٧٠ - ١٩١٠ ، سواء كان حقيقة أو توهمًا ، من روسيا وحدها (٤) . وعندما نشبت الحرب الروسية التركية ١٨٧٧ وأظهر أمير الأفغان ميلا للروس ، عبر وزير خارجية بريطانيا سالبوري عن قلق حكومته : ان أهل هذه البلاد (بريطانيا) لن يسمحوا بأن تكون الكلمة العليا للروس في وادي دجلة والفرات (٥) .

فامكان الزحف الروسي نحو الخليج ووادي الرافدين ظل ماثلا في ذهن الساسة الانجليز قبل الحرب العالمية الاولى وخلالها بالرغم من دخول روسيا الحرب الى جانب الحلفاء ، الى درجة يمكن معها القول بأن خطة التقدم البريطاني نحو بغداد ، وطبيعة اتفاق سايكس بيكو كانا متأثرين بالاطماع الروسية .

اما التحدي الالماني لمصالح بريطانيا في المنطقة فلم يكتسب صفة الخطورة الا عندما حصلت ألمانيا على امتياز سكة حديد الاناضول (١٩٠٢) التي كان مقررا أن تمتد الى بغداد والبصرة ، مما حدا بوزير خارجية بريطانيا الى القول لمدير سكة الاناضول الالماني : ان بريطانيا تسيطر حتى الان وحدها على أقصر الطرق الى الهند ، ولكن بناء سكة حديد بغداد يجردها من تلك السيطرة (٦) ، بل ان كل مائة كم من سكة حديد بغداد تمتد نحو الخليج العربي تعادل طرادا بحريا لكسر شوكتنا (٧) . واحساس بريطانيا بهذا الخطر يفسر سياسة التفاهم مع فرنسا (الاتفاق الودي ١٩٠٤) ، ومع روسيا (١٩٠٧) لصد التقدم الروسي او التعاون معه ، لتتفرغ لمواجهة التقدم الالماني نحو الشرق (٨) .

لم تقتصر المصالح البريطانية في العراق على المجالين الاقتصادي والاستراتيجي ، وتمتد ذلك الى المجال السياسي الذي تمثل بالامتيازات التي كان يتمتع بها القنصل البريطاني في بغداد ، بحيث أصبحت شخصيته أبرز نسبيا من شخصية السفير البريطاني في استانبول ، وكان بالفعل الشخص الثاني بعد الوالي التركي (٩) .

مما سبق يتضح ان بريطانيا كانت تنظر للعراق باعتباره مقرا لقنصلها الذي يحتل مركزا مرموقا في بغداد ، وموقعا استراتيجيا تسيطر من خلاله على الطرق المؤدية الى رأس الخليج العربي الذي كان يعتبر باب الهند ، وسوقا للبضائع ورؤوس الاموال الانجليزية ، ومصدرا يجهزها بالمواد الخام ، ومحطة تعبر فيها البضائع الى ايران وتركيا ، وأرضا بكرا يحوي باطنها المعادن الثمينة وأهمها البترول ، وشريانا لواصلاتها البرية والنهرية .

ب - السياسة البريطانية تجاه العراق قبل الحرب :

كادت بريطانيا قبيل الحرب العالمية الاولى أن تسيطر على جنوب العراق أو تضمه الى أملاكها الهندية ، أو تضعه تحت حمايتها سلميا (كما أدخلت محمياتها العربية في الخليج وجنوب شبه الجزيرة العربية) بموافقة ومباركة الدولة العثمانية وألمانيا . ففي الفترة بين ٢٩ تموز ١٩١٣ و حزيران ١٩١٤ عقدت بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية ، وبخاصة ألمانيا وبريطانيا ، عدة اتفاقات أسفرت عن اقتسام ألمانيا وبريطانيا النفوذ في أملاك الدولة العثمانية الآسيوية ، وما له علاقة بالعراق قسم الى :

١ - منطقة خاصة بالألمان مقفلة في وجه الإنكليز (حدود ولاية الموصل) .

٢ - منطقة خاصة بالإنكليز مقفلة في وجه الألمان (منطقة شط العرب) .

٣ - منطقة مفتوحة للطرفين على أساس المشاركة في الاعمال مع شيء غير قليل من الاختصاص : الري والملاحة النهرية للإنكليز ، والسكك الحديدية للألمان ، على أن يكون للإنكليز حصة الاقلية في السكك الحديدية ، وللألمان حصة الاقلية في الملاحة والري من الموصل الى البصرة (١٠) .

فالدولة العثمانية وألمانيا اعترفتا بحق بريطانيا في السيطرة على القسم الجنوبي من العراق واستغلال امكاناته الاقتصادية والنقلية ، الا أن نشوب الحرب العالمية الاولى في تموز ١٩١٤ عرّض المصالح البريطانية في بغداد والبصرة للخطر ان لم يكن للزوال ، الامر الذي دفع بريطانيا الى المبادرة باحتلال منطقة البصرة أو العراق الجنوبي أولا ، ثم بلاد ما بين النهرين (العراق) بأكملها خلال سنوات الحرب العالمية الاولى ثانيا .

الواقع أن مشروع احتلال بريطانيا للعراق وعلى الاخص قسمه الجنوبي لم يكن مشروعا جديدا ظهر خلال الحرب العالمية الاولى ، ولكنه كان مشروعا قديما ، خاصة بالنسبة للسياسة الإنكليزية التابعين منهم لحكومة الهند البريطانية ، فقد دعا هؤلاء السياسة وفي مناسبات مختلفة في الفترة ما بين ١٨٩٢ و ١٩١٣ الى ضرورة السيطرة البريطانية على المنطقة الممتدة من بغداد الى البصرة . يدل على ذلك تصريحات سالسبوري ١٨٧٨ ، ولورد كيرزون ١٨٩٢ التي أسلفنا الإشارة اليها مقرونة بتصريح ادوارد غراي وزير الخارجية البريطاني ١٩١٣/٤/٣ الذي جاء فيه : ان ما تريده بريطانيا من العراق هو القسم الجنوبي الممتد من بغداد الى البصرة (١١) ، من ناحية ، ورسالة المقيم البريطاني في الخليج الى كل من حكومة الهند والسفير البريطاني في

استانبول ٢٣/٦/١٩١٣ والتي طالب فيها باحتفاظ الحكومة البريطانية بما أحرزته من أرجحية حتى الان في بلاد ما بين النهرين منطقتها الطبيعية في الدول العثمانية (١٢) من ناحية ثانية .

هذه المطالب تفسر لنا تحفظات بريطانيا بالنسبة لجنوب العراق في مراسلات حسين مكماهون (١٩١٥ - ١٩١٦) ومطالبتها بادارة خاصة في ولايتي البصرة وبغداد (١٣) .

فلما اعلنت الحرب العالمية الاولى سارعت كل من بريطانيا وروسيا الى تحديد سياستهما تجاه الدولة العثمانية في حالة دخولها الحرب الى جانب المانيا على اساس انهاء وجودها والاستغناء عنها على حد تعبير وزير خارجية بريطانيا (ادوارد غراي) ووزير خارجية روسيا (سazanوف) (١٤) . ولواجهة احتمال دخول تركيا الحرب الى جانب المانيا (وهو امر كان مؤكدا بالنسبة للدوائر البريطانية) (١٥) اقترح الجنرال ادموند بارو Edmond Barrow السكرتير العسكري لوزارة الهند في ٢٦/٩/١٩١٤ توجيه حملة عسكرية الى الخليج العربي (١٦) . ووافق مجلس الوزراء البريطاني على الاقتراح في ٢/١٠/١٩١٤ ، وصدرت الاوامر السرية الى لواء المشاة السادس عشر من الفرقة السادسة بالاقلاع من بومبي يوم ١٦/١٠/١٩١٤ الى الخليج العربي بقيادة امير اللواء ديلامين Delamain ، الذي امر بالقيام بمظاهرة حربية عند رأس الخليج واحتلال عبادان لحماية آبار النفط ، وميناء البصرة اذا تيسر ذلك (١٧) .

ومع ان الهدف المباشر للحملة هو احتلال البصرة وعبادان في رأس الخليج العربي ، الا انها انتهت باحتلال العراق (بلاد ما بين النهرين) بأكمله (١٨) ويرجع ذلك الى تطورات أحداث الحرب ، في العراق وخارجه (١٩) ، والاتفاقات السرية بين الحلفاء (اتفاقية القسطنطينية ، آذار ١٩١٥ ، وسايكس - بيكو ، آذار - نيسان ١٩١٦) (٢٠) .

مع هذا فان سياسة الحكومة البريطانية تجاه العراق لم تكن محددة وواضحة، وحتى في الفترة بين احتلال البصرة (٢٢/١١/١٩١٤) ، وبغداد (١١/٣/١٩١٧) لم تكن بريطانيا قد قررت مستقبل العراق السياسي ، وهل سيكون جزءا من الدولة الاسلامية المتفق على اقامتها في حال زوال الحكم التركي من القسطنطينية والمضايق ، ام انه سيكون جزءا من ممتلكاتها الخاصة (٢١) . ولذا فقد رفضت حكومة لندن ان تعلن ان احتلالها للبصرة هو دائم وفقا لمقترحات نائب الملك (في الهند) في رسالته الى وزير الهند في لندن كانون اول ١٩١٤ (٢٢) . فمجال الحملة البريطانية على العراق لم يحدد مقدما ، وهذا ما عبرت عنه « المس بيل » في رسالة الى والدتها (١٥ تموز ١٩١٥) :

ان العقبة الحقيقية هنا هي اننا لا نعرف بالضبط ما نحن عازمون على عمله في هذه البلاد (٢٢) .

وصلت الحملة البريطانية القادمة من الهند البحرين يوم ٢٣/١٠/١٩١٤ ، وفي يوم (١٩١٤/١١/٦) اليوم التالي لاعلان بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية (١٩١٤/١١/٥) نزلت القوات البريطانية الى الفاو ، ثم احتلت البصرة (١١/٢٢/١٩١٤) ومنها تقدمت الى القورنة فاحتلها (١٩١٤/١٢/٩) ، ولم تنته الحرب العالمية الاولى في ٣٠ تشرين اول ١٩١٨ الا وكانت بريطانيا قد اكملت احتلالها للعراق او بلاد ما بين النهرين .

ثانيا - مواقف العراقيين خلال الحرب :

تعددت مواقف العراقيين خلال الحرب بتعدد فئات الشعب العراقي الاجتماعية والدينية والعرقية ، وتبدلت بتبدلات أحداث الحرب وتطوراتها من ناحية ، وبطبيعة السياسة التي انتهجها طرفا القتال (الاتراك والانكليز) تجاه العراقيين خلال الحرب من ناحية ثانية . ومع هذا فهناك ثلاثة مواقف عامة انتظمت اكبر عدد ممكن من العراقيين وهذه المواقف هي :

- ١ - الجهاد الى جانب الاتراك ضد الانكليز .
- ٢ - القبول بالامر الواقع المقرون بالحياد تارة وبالتعاون مع الانكليز تارة اخرى .
- ٣ - الترحيب بالغزاة الانكليز المحتلين .

مع ملاحظة ان هذه المواقف كانت متداخلة وغير مقصورة على فئة واحدة من فئات الشعب العراقي ، ولا نبالغ اذا قلنا ان بعض الشخصيات ، وبخاصة من زعماء القبائل ، اتخذت اكثر من موقف ، فهي تارة معادية للانجليز وتارة محايدة ، وتارة ثالثة مناصرة لهم متعاونة معهم .

١ - الجهاد الى جانب الاتراك ضد الانجليز :

(٢) **دعوى الجهاد المقدس :** ظهرت الدعوة للجهاد ضد الانكليز بعد نزول القوات البريطانية في الفاو وتقدمها نحو البصرة . ففي ١٩١٤/١١/٩ بعث وجوه البصرة برقيات الى علماء الدين في العتبات المقدسة ومختلف مدن العراق حذروا فيها من الخطر الانكليزي وطلبوا مساعدة العشائر لهم الدفاع عن الثغر . وقد تليت هذه

البرقيات في المساجد وأخذ الوعاظ يلهبون مشاعر الناس بخطبهم الحماسية ويؤكدون الاخطار التي سوف تترتب على احتلال الانكليز للعراق (٢٤) .

ومع ان الدولة العثمانية كانت تعقد آمالا كبرى على دعوى الجهاد المقدس ، بتشجيع من المانيا ، كوسيلة لكسب تأييد رعاياها ورعايا الدول الحليفة من المسلمين (٢٥) ، فان السلطات التركية في العراق لم تبادر للدعوة للجهاد في العراق الا بعد وصول القوات البريطانية الى القورنة (١٢/٩ / ١٩١٤) ، فعزلت جاويد باشا القائد العام للقوات التركية ، وعينت بدلا منه القائد سليمان العسكري فبادر الى تحريض العراقيين على مقاومة الانكليز باسم الدين ، وعلن الجهاد المقدس بواسطة مجتهدى العتبات المقدسة .

ففي بغداد دعا الشيخ مهدي الخالصي الى تأييد دعوى الجهاد واصدر حكما اوجب على المسلمين التبرع بأموالهم من أجل الجهاد . وقام وفد من وجهاء بغداد وعلمائها ومجتهديها بزيارة العتبات المقدسة حيث عقد اجتماع في جامع الهندي في النجف حضره العلماء والزعماء وشيوخ العشائر في الفرات الاوسط ، ايد خلاله بعض العلماء امثال محمد سعيد الحبوبي وبعض شيوخ القبائل الدعوة للجهاد . وفي الكوفة نجح حميد الكليدار سادن حرم الامامين في بغداد في استمالة الشيخ محمد كاظم اليزدي كبير مجتهدى الكوفة لتأييد الدعوة ، وبادر بارسال ولده محمود لينوب عنه في استنهاض العشائر . وخطب (اليزدي) في النجف (١٦ / ١٢ / ١٩١٤) قائلا : « واجب على الفنى العاجز بدنا ان يجهز من ماله الفقير القوي » (٢٦) .

ومن دمشق حث جمال باشا العراقيين على تأييد دعوة الجهاد وتلقى منهم ردودا مشجعة (٢٧) .

ومع تفاوت مواقف المجتهدين من دعوى الجهاد المقدس ، تبعها لانتماءاتهم العرقية وطبيعة علاقتهم مع الاتراك والانكليز ، فقد اصدروا في النجف والكوفة وبغداد والاعظمية ، الفتاوى بضرورة الوقوف الى جانب الاتراك . ولبي العراقيون الدعوة للجهاد من مختلف انحاء العراق واختلفت المصادر في تقدير عددهم بحيث راجح بين ١١ و ٥٠ الفا بينهم ١٥٠٠ من الاكراد (٢٨) . ولم يكلف هؤلاء المتطوعون الاتراك عبء تزويدهم بالمواد والارزاق ، وقال السيد الحيدري للقائد التركي يوم وصل العمارة في طريقه الى الشعبة عندما عرض عليه المساعدة من مؤن واموال : « إننا مستغنون عن مساعدتكم ولو تمكنا نحن من مدكم بالمال والطعام لبقلنا » (٢٩) . وكذلك رفض محمد سعيد الحبوبي تزويده بالمال قائلا للقائد التركي الذي عرض عليه ذلك : « انني

مكلف بالتضحية في مالي ونفسي ، فاذا نفذ المال بقيت نوبة النفس ، اعتبروني جنديا من الجند آكل مما يأكلون ، واشرب مما يشربون ، وجهاد النفس أفضل . لا ، لا أقبل درهما واحدا» (٢٠) .

هذان الموقفان يناقضان رأي (المس بيل) التي نسبت تطوع المجاهدين العراقيين الى الرغبة في السلب والنهب ، وأنهم سيقوا الى جبهات القتال بالقوة ، وقول وزير الخارجية البريطاني ادوارد غراي في خطابه في مجلس اللوردات (نيسان ١٩١٥) : « ان عنصر الاثارة الدينية لم يكن الدافع الفعال لمن تعاون مع الاتراك او ساعدهم » (٢١) .

ب - موقعة الشعبية : تمثل موقعة الشعبية (١٢ - ١٥ نيسان ١٩١٥) ذروة الجهاد ضد الانكليز . وتحمل العبء الاكبر فيها رجال العشائر العراقية وبخاصة في منطقة الفرات الاوسط والجنوبي ، وقام المجتهدون بدور المحرض والمشجع على الجهاد . وكانت الحكومة التركية قد عينت مندوب ازمير ضياء بك لقيادة المجاهدين ، وعهدت الى السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ عجمي السعدون والشيخ عبد الله الفالح برئاسة اقسام المجاهدين الثلاثة . وقد لقيت القيادة صعوبة في تسليحهم ، فكانت أسلحتهم غير متناسقة (٢٢) .

تحدث الكولونيل غراي المقيم السياسي البريطاني في الكويت في تقرير له بتاريخ ١٩١٥/٦/٩ ، عن العشائر العراقية التي شاركت في موقعة الشعبية ، فقلل فيه من دورها ، وقدر عدد المجاهدين بعشرة آلاف ، القسم الاعظم منهم من قبائل المنتفك ، ونسب مشاركتهم الى الرشوة او الضغط والتهديد بمصادرة الاموال والاملاك : « فقلوب قبائل المنتفك لم تكن في المعارك التي دارت بين ١٢-١٥ نيسان ، ولم يكن لهم حماس قومي او ديني ، فزعمائهم دخلوا المعارك الى جانب الاتراك حفاظا على مراكزهم ، بينما كان هدف الجماهير السلب والنهب من أي جانب كان ولم يكن في موقفهم أي اثر للاثارة الدينية » (٢٣) .

ومع أن الهزيمة (٢٤) لحقت بالاتراك والمجاهدين العراقيين في الشعبية ، فان الاتراك تعلموا منها ، واستغلوا رجال القبائل في عمليات استنزاف القوات البريطانية أو انهائها ، بدلا من المشاركة بالقتال التقليدي ، لان عمليات الانهاك أكثر ملائمة لاساليب القتال التي تجيدها القبائل وشعارها اضرب وأهرب كما كان الحال في الحجاز .

ج - موقف رجال القبائل : وتمشيا مع هذا الفهم ، استخدم الاتراك رجال القبائل لانهاك القوات البريطانية واعاقة تقدمها نحو الكوت ، فكان الشيخ غضبان آلبنية من بني لام رأس الرمح في الغارات القبلية على القوات البريطانية غربي دجلة وحتى خطوط أنابيب النفط في عبادان . كذلك استخدم الاتراك بني طروف لاعاقة تقدم الانكليز الاول نحو بغداد (خريف ١٩١٥) واعطوا رجال القبائل دورا محدودا في موقعة سلماك باك (٢٢ - ٢٥ تشرين ثاني ١٩١٥) ، كذلك استغلوا رجال القبائل لاستنزاف القوات البريطانية في تراجعها نحو العريزية ، فالكوت (٢٥) . وقد عبر تاونزند قائد القوات البريطانية في الكوت عما لحقه من هزيمة وخسائر في الارواح : « لقد وجدت العرب في اثناء الاعمال العسكرية في العراق جماعة لا تعرف الرحمة انهم جماعة من الاوغاد الجبناء » (٢٦) . وساهمت القبائل في احباط محاولات فك الحصار عن الكوت (نيسان ١٩١٦) ، كما تعرضت المعسكرات الانجليزية لعمليات السرقة من قبل اللصوص والعاطلين عن العمل (٢٧) .

ظلت القبائل العراقية في عدااء للانكليز ، تتحمل وحدها عبء الجهاد . ولكن هذا الموقف العدائي اختلف من قبيلة الى اخرى بل ان موقف القبيلة الواحدة كان يتبدل مع تبدل مجريات الحرب ، وهناك قبائل انقسم زعمائها ما بين معاد للانكليز او موال لهم . وقلة فقط من زعماء العشائر ظلوا في حالة العداء طيلة فترة الحرب . وفي مقدمتهم عجمي باشا السعدون زعيم قبائل المنتفك . ومع هذا فقد وصف لونرغ موقفه بأنه « كان حليفا غير مفيد للاتراك » (٢٨) .

فموقف رجال العشائر كان معاديا للانكليز بشكل فردي يغذيه سوء معاملة الانكليز للعرب ، ولكن هذا الموقف لم يكن ثابتا ، ولكنه كان متغيرا متذبذبا وفي تحول مستمر لصالح الطرف المنتصر وهو الانكليز ، وحتى بعد سقوط بغداد (١١/٣/ ١٩١٧) بقيت بعض القبائل على نهري دجلة والفرات مناصرة للاتراك ، وقد وصفت المس بيل معارضة هذه القبائل بالمعارضة المبعثرة وأنها كانت من قبيل التحدي لا المعارضة، تغذيتها الدعاية التركية، وعدم حسم مصير العراق ومصير الحرب اضافة الى ثورة النجف الاشرف ضد الانكليز (اذار / ١٩١٨) (٢٩) . وأكدت التقارير البريطانية هذه الحقيقة ، وجاء في احدها : « ليس عجيبا لهؤلاء الذين سارعوا بجهل وروحية خفيفة بالجهاد ضد الكفار (الانكليز) في معركة الشعيبة أن يصبح عدد من قادتهم اصدقاء مخلصين ومساندين لنا ، وليس عجيبا ايضا أن عددا من الذين كانوا يضمرون العداء أو الكراهية للاتراك قد اقتنعوا بالعودة الى ولائهم أو على الأقل حملوا بعيدا عن النشاط والتعاون معنا عندما واجهتهم مدافع سلماك باك وحوادث الكوت

وذلك فزعا من النتيجة التي ستحل بهم عندما يستطيع اسيادهم القداماء (الاتراك) مواصلة اجبارنا على التراجع «(٤٠)» .

د - ثورة النجف اذار - ايار / ١٩١٨ :

تدهورت علاقات العتبات المقدسة الشريك الرئيسي للقبائل في حركة الجهاد مع الاتراك الى درجة الثورة عامي ١٩١٥ / ١٩١٦ في كل من النجف و كربلاء (نيسان - حزيران ١٩١٥) (٤١) ، والحنة (تشرين اول ١٩١٦) مما كان له اكبر الاثر على وقف دموى الجهاد المقدس ، الى حد ان هادي القزويني في الحلة دعا الى الجهاد ضد الاتراك لا الانكليز ، وترتب على ذلك انسحاب الاتراك منها وتمتعها بدرجة من الاستقلال الذاتي ، وقد اعترف الانكليز اعترافا واقعيا بهذا الاستقلال وتعهدوا بعدم التدخل في شؤون العتبات المقدسة طالما ترك الحجاج الهنود بأمان فبريطانيا ليست معادية لا للعرب ولا لديانتهم(٤٢) .

فلما احتل الانكليز (بغداد - اذار ١٩١٧) قام قادة النجف و كربلاء بزيارتها مهنئين من ناحية ومستفسرين عن مستقبل مدنيهم السياسي من ناحية ثانية . وقد استقبلهم رئيس الممثلين السياسيين السيد برسي كوكس بكل مظاهر الاحترام وطلب منهم الحفاظ على الامن والنظام حتى يكون بالامكان التعامل مع المدنيين مباشرة ، واعتبر زيارتهم دليل الخضوع والتبعية . ولكن قادة المدينتين عدوا حسن استقبالهم وتفويضهم بالحفاظ على الامن استمرارا لاعتراف الانكليز باستقلالهم الذاتي ، الا ان الاجراءات البريطانية الادارية والاقتصادية التي صدرت من بغداد والرامية الى التقليل من مكانة المدن المقدسة ووضعها تحت الادارة البريطانية المباشرة مقرونة بالتضييق على حرية التجارة اثارت اهالي النجف خاصة الامر الذي أدى الى تدميرهم فتمردهم فتوڑتهم ، التي توجت بقتل حاكم النجف الكابتن مارشال (١٨ / ٣ / ١٩١٨) (٤٣) .

فهل كانت ثورة النجف امتدادا واستمرارا لحركة الجهاد ضد الانكليز ، تلك الحركة التي غذاها مجتهدو العتبات المقدسة ، وشارك فيها رجال القبائل كما اسلفنا .

ربط عبد الرزاق الحسيني بين ثورة النجف وجمعية النهضة الاسلامية التي تأسست في النجف عام ١٩١٧ (٤٤) برئاسة سيد محمد بحر العلوم (٤٥) والشيخ محمد جواد الجزائري ، وهما من العماء ذوي الاصل العربي ، هدفها تخليص العراق المسلم من براثن السيطرة الانكليزية وتأييب المسلمين على الاجانب ضمانا لاستقلال البلاد وتحريرها من الاستعمار . وقد توسلت لنشر أهدافها بالمنشورات السرية التي تندد

بسياسة المحتلين ونشرت دعوتها بين القبائل المحيطة بالنجف والكوفة وأبو صخير والشامية بتكتم شديد(٤٦) . ومع أن الحسيني لم يحدد تاريخاً لهذه الاتصالات ، ولكن يبدو أنها جرت قبل مقتل حاكم النجف (آذار ١٩١٨) وحاصر الانكليز لها بدليل قوله : انتظر أعضاء الجمعية أن تستجيب القبائل المحيطة بالنجف لدعوة حمل السلاح المتفق عليها من قبل(٤٧) .

فلما قتل حاكم النجف الكابتن مارشال وحاصر الانكليز المدينة ، حاول ثوار النجف الاتصال مع بعض زعماء القبائل أمثال عجمي السعدون ، ومع الأتراك الذين كانوا يقاتلون الانجليز في منطقة الفرات الأعلى (محافظة الأنبار) ، إلا أن تلك الاتصالات لم تثمر فقد أحجمت القبائل والتي سبق الاتفاق معها على نجدة النجف (كما ذكر الحسيني) ، ولم يلب الدعوة من قبائل الشامية سوى الشيخ مرزوق العواد رئيس العوابد ، وجواد المنصور زعيم إحدى القبائل الكردية الذي أبدى استعداداً لدعم الثوار بالمال ، وعدد من قبائل الحوامة ، (الشيخ سليمان الفاضل رئيس الحواتم) والفتلة (الشيخ وادي رئيس آل علي) (٤٨) . وترجع أسباب ذلك إلى الحصار الذي فرضه الانكليز على النجف من ناحية وإلى عدم تفهم القبائل لطبيعة الإدارة البريطانية الجديدة من ناحية ثانية ، مقروناً ذلك بموقف مجتهد العتبات المقدسة وبخاصة كبير مجتهد الكوفة السيد محمد كاظم اليزدي . فبدلاً من أن يعنى هؤلاء بمناصرة ثوار النجف ، وإعلان الجهاد المقدس ضد الانكليز ، اقتصر دورهم على المطالبة برفع الحصار عن النجف في رسالة وقعها (١٩) عالماً (١٩١٨/٣/٢٥) (٤٩) ، بل إن بعض الشيوخ عرضوا على السلطات البريطانية استعدادهم لقمع الثورة أمثال الشيخ عمران السعدون من بنس حسان والشيخ معتوق من الفتلة في منطقة الهندية ، كما أن الدوائر البريطانية أحضرت عدداً آخر من الشيوخ لمشاهدة عمليات قصف منطقة الحويش في النجف(٥٠) .

وفي الثلاثين من أيار ١٩١٨ - اليوم الذي أعدم فيه إحدى عشر شخصاً من المشاركين في الثورة - عقد اجتماع في بيت السيد عباس الكليدار بحضور عدد من الضباط الانكليز من الأصل الهندي ، وألقى الحاج محسن شلاش خطاباً أبدى فيه أسفه لمقتل الكابتن مارشال وأشاد بالاجراءات التي اتخذتها الحكومة خلال الأزمة وقلد القائد بلفور حاكم الشامية الجديد سيفاً من الذهب ، ونائبه ساعة من ذهب مرصعة بالأحجار الكريمة(٥١) .

والواقع أن أكبر دعم لقيه الانكليز تجاه ثورة النجف إنما جاء في المجتهد الأكبر السيد محمد كاظم اليزدي والذي كانت قراراته مساوية للأوامر الدينية ، فقد امتنع

عن مناصرة الثوار وحبس نفسه في بيته بحجة انه رجل دين ولا علاقة له بالسياسة ، الا انه لم يتوقف عن اعلام الانكليز بأنه ضد الثورة وابدى ارتياحه لقمعها . وتشير التقارير البريطانية الى ان الضابط السياسي للشامية كان على اتصال دائم معه ، وقابله ثلاث مرات في الفترات ما بين ١٧-٢٨ نيسان ١٩١٨ ، مقابلات ودية دعا فيها الى تنظيف النجف الاشرف من جميع الاشخاص غير الموالين سواء كانوا يلبسون العمامة او العقال ، وابدى تدمره من محاولات بعض العلماء التي كانت تدعوه الى معارضة الانكليز ، وهكذا : « فمن الصعب تقدير الخدمات التي قدمها السيد محمد كاظم اليزدي لنا ، ويمكننا الاعتماد على مساعدته باستمرار بشرط عدم ذكر اسمه رسميا » (٥٢) . وتعليقا على وفاته ورد في تقرير سري عنه « ان نفوذه كان يستخدم بلا انقطاع في مصلحتنا وموته خسارة جوهريّة لنا » (٥٣) .

٢ - القبول بالامر الواقع القرون بالحياد حينا وبالتعاون مع الانكليز حينا آخر :

اذا كان رجال القبائل ومجتهدو العتبات المقدسة هم الذين تحملوا عبء الجهاد ضد الانكليز وبمستويات مختلفة، فان سكان المدن الرئيسية بفئاتها المختلفة وقفوا على الحياد خلال الحرب ، حتى اذا ما بدأت الكفة ترجح لصالح الانكليز ابدوا استعدادهم للتعاون معهم باستثناء موظفي الادارة العثمانية عربا واتراكا ، وتأثرت مواقفهم بنوايا الانكليز المعلنة التي دعت الى تحييد العرب أكثر مما دعت الى تشويرهم ، فبريطانيا ليست معادية للعرب بقدر ما هي معادية للاتراك ، مقرونا ذلك بالاضرار الاقتصادية التي لحقت بهم جراء الحرب .

وكانت مواقف سكان المدن متعددة بتعدد فئات السكان واختلاف مصالحهم ، سيما وان الحركة الوطنية كانت ناشئة وضعيفة وتدور حول بعض الشخصيات التي كانت تتصرف بوحى من مصالحها وطموحاتها الخاصة أكثر منها بوحى مبادئ او موقف وطني ، كما كان الحال بالنسبة لطالب باشا النقيب في البصرة ، والاشراف في بغداد .

ففي البصرة غادر رجال الادارة التركية المدينة قبل احتلالها ، وقابل النبلاء والاعيان وبقية السكان دخول القوات الانكليزية بشيء من القلق والفتور ، ولم يرحب بالفاتحين الا بعض التجار ، حرصا على مصالحهم وعلى تجاراتهم التي كانت تمت هيمنة الانكليز من قبل الاحتلال ، ونصحوهم بالتقدم شمالا نحو بغداد (٥٥) ، خلافا لما ذكره قائد الحملة من أنه قول بالترحاب من السكان الذين ابدوا رغبتهم بنقل ولائهم من الاتراك الى الحكومة الانكليزية (٥٥) .

وأجرى السيد طالب النقيب اتصالات مع الدوائر البريطانية في الهند من خلال ممثليها في أنحمة والكويت والخليج ، في الفترة بين ايلول ١٩١٤ و كانون ثاني ١٩١٥ . أبدى فيها استعدادة للتعاون معها شريطة الاعتراف به اميرا مستقلا على جنوب العراق ، شأنه في ذلك شأن الشيخ خزعل في المحمرة وآل الصباح في الكويت ، ولكن المسؤولين الانكليز لم يوافقوا على مطالبه وازدادوا تصلبا ، وبخاصة بعد احتلال البصرة والقورنة (تشرين ثاني - كانون أول ١٩١٤) . وبوساطة ابن السعود والشيخ خزعل وافقت الدوائر البريطانية على سفره الى الهند والاقامة هناك برات شهرية قدره ١٢٠٠ روبية هندية (٥٦) .

وعندما احتل الانكليز بغداد غادرها الاداريون والموظفون الاتراك والعرب ، اما بدافع من وطنيتهم واما توقعا لعودة الاتراك . ونظرا للاضرار التي لحقت بتجار بغداد منذ احتلال الانكليز للبصرة ، مقرونة بالاجراءات التركية مثل حظر التعامل بالعملة الذهبية والفضية وفرض التعامل بالعملة الورقية مما ادى الى عدم استقرار قيمتها اصبح هؤلاء يتطلعون الى الانكليز لحل مشكلاتهم بعد أن أصبحت البصرة السوق الرئيسي للاستيراد والتصدير .

كذلك كان وضع الصناع والحرفيين سيئا ، فالحرب لا تعنيهم ، ودعوى الجهاد لا تستثيرهم ، ولولائهم كان لنقاباتهم وارتباطهم بالقسطنطينية كان ضعيفا ، وأصبح الهرب من الجيش ظاهرة عادية للعديد منهم بالاضافة الى ما عانته بغداد من آثار الحرب كنقص المواد التموينية وارتفاع الاسعار الهائل ، مقرونا ذلك بأخطار الفيضان والكوليرا التي قدرت ضحاياها عام ١٩١٥ ب (٣٠٠) شخص يوميا . وقد وصف الرحالة موسل بغداد بقوله : « لا يوجد في المدينة أي نوع من أنواع الحياة مع انها كانت تعد سابقا من اكبر مدن الشرق حركة وعملا » (٥٧) ولقد توقع أهل بغداد أن يكون وضعهم في ظل الحكم البريطاني افضل مما هم فيه بدليل أن الحياة في البصرة في ظل الحكم البريطاني كانت تفضل الحياة في بغداد .

وفي الموصل زاد الوضع سوءا خاصة بعد احتلال بغداد بسبب سوء الادارة التركية ، ونقص المواد التموينية ، وزيادة عدد النازحين من المناطق المجاورة ووصلت حالتها الى درجة المجاعة حتى تمنى أهلها التعجيل باحتلال الانكليز لها بقولهم : هل يمشي الانكليز مشي النمل ، لماذا لم يهجموا فيضبطوا الموصل ويخلصونا من هذه الحالة التمسدة ولا يوجد امامهم قوة مهمة من الجيش التركي بل جل ما يقاومهم قطيع من الغنم الجائع (٥٨) .

أما الحركة الوطنية في بغداد فكانت ضعيفة وناشئة ، والجمعيات والنوادي ، ان لم تكن ميتة ، فهي غير فعالة ، والصحافة غير موجودة ، والاتصال مع الخارج ضعيفا ان لم يكن مقطوعا . وكان دعاة القومية في بغداد عند قيام الحرب أعضاء في جماعة الاشراف المؤلفة من النبلاء والتجار وكبار ملاك الاراضي ، وكان تأييدهم لدعوى الجهاد شكليا ، ضعف مع استمرار الحرب بمقدار ضعف ثقتهم بالاتراك بسبب سوء الادارة والمعاملة ، وعلى اثر اعدام جمال باشا لاحرار العرب في سورية وقيام الثورة العربية في الحجاز التي أبطلت دعوى الجهاد .

ومع ان اشراف بغداد كانوا القوة الحقيقية وراء المعارضة للاتراك لمعاداتهم لجمعية الاتحاد والترقي ، فقد بقيت اغليبيتهم على الحياد حتى منتصف ١٩١٦ ، عندما دعا عدد من مثقفي الطبقة الوسطى الى عقد اجتماع حضره عدد من اشراف بغداد امثال موسى كاظم الباجهجي وجميل زاده عبد الرحمن ، ويوسف السويدي ، ويوسف الباجهجي وعبد الرحمن النقيب ، وعدد من المثقفين امثال عبد اللطيف ثنيان ، وسيد محي الدين الكيلاني ورشيد الهاشمي ، حيث اقترح عبد اللطيف ثنيان ارسال رسالة الى الانكليز تعرض عليهم المساعدة ، ووافق الجميع على الاقتراح باستثناء عبد الرحمن النقيب (٥٩) . ومع انه لم يتمخض شيء عن الاجتماع الا ان معظم المجتمعين غادروا بغداد فيما بعد خوفا من الاضطهاد التركي ، والتجأ سيد صادق العراجي صاحب جريدة الرصافة السابق ، وسيد محي الدين الكيلاني احد اعضاء اسرة نقيب بغداد ورشيد الهاشمي ، وثلاثتهم من الصحفيين ، الى الانكليز وابدوا استعدادهم للانضمام الى الثورة العربية في الحجاز (٦٠) .

باستثناء هذا الموقف فلا توجد اية اشارة لموقف اهالي بغداد من الاتراك او ضدهم .

لم تقتصر الرغبة في نصره الانكليز على سكان المدن وتعدت الى العسكريين العراقيين في الجيش العثماني ، واعضاء جمعية العهد ، فقد ابدوا استعدادهم للثورة ضد الاتراك بالتعاون مع الانكليز في مطلع ١٩١٤ ولكن السفير البريطاني في القسطنطينية حذر حكومته من التورط في ذلك العمل (٦١) .

وخلال الحرب ، وقبل احتلال بغداد ، كان الضباط العراقيون في الجيش العثماني مترددين في مواصلة الحرب الى جانب الاتراك ، الا انهم لم يكونوا متأكدين من نوايا الحلفاء . وفي مطلع عام ١٩١٥ خطط عدد من الضباط العراقيين للثورة ضد الاتراك بعد الاتفاق مع الانكليز من اجل الحصول على وعد منهم باقامة حكومة عربية في

العراق تتفق وأمانهم القومية ، ولكن موقعة الشعبية (نيسان ١٩١٥) فاجأتهم وحالت دون اتصالهم بالانكليز الذي كان مقررا أن يتم في آذار ١٩١٥ . وفي تموز ١٩١٥ ، وبعد تعرض الاتراك لعدة هزائم عقد الضباط العراقيون اجتماعات في الناصرية اتفقوا خلالها على ضرورة الاتصال بالانكليز بهدف التعهد باستقلال العراق مقابل تمرد حامية الناصرية - ومعظم ضباطها من العرب - على القوات العثمانية ، والاتصال بقبائل المنطقة لدعم الحركة . ولكن الخطة فشلت بسبب عدم امكان الاتصال بالانكليز في الوقت المناسب لوضع الخطة موضع التنفيذ (١٢) . وهكذا بقي الضباط العراقيون الى جانب الاتراك ، باستثناء من فر منهم الى القوات الانكليزية في تموز ١٩١٥ امثال مولود مخلص وعلي جودت الايوبي وعبد الله الدملوجي وجميعهم من جمعية العهد . وبعد سقوط بغداد زاد عدد الهاربين أو الفارين من الجنود والضباط العراقيين في الجيش التركي بسبب تزايد شكوك الاتراك بولائهم ، وقيام الثورة في الحجاز والرغبة في المساهمة فيها . علما بأن الاسرى العراقيين في الهند رفضوا في البداية المشاركة في الثورة ، ولكن بعد سقوط بغداد وانتصارات الشريف المتوالية تزايد عدد الراغبين في الانضمام الى الثورة منهم . وكان للسياسة البريطانية - الهندية ، وأسلوب معاملتها للاسرى العراقيين اكبر الاثر في ترددهم في المشاركة في الثورة (١٣) .

٣ - الترحيب بالفاتحين وتقديم التسهيلات لهم :

رحبت بعض الطوائف والفئات من الشعب العراقي وبخاصة من الاقليات الدينية والعرقية بالمحتلين الانكليز ، وفي مقدمتهم اليهود . الذين عانوا ولحقت بهم اضرار كثيرة خلال الحرب ، وكانوا محل شك السلطات وفرضت عليهم رقابة شديدة ، وبخاصة التجار والصرفيين منهم لتلاعهم بالاسعار وادخارهم للاموال . يضاف الى ذلك تهربهم من الخدمة العسكرية ومن أجبر منهم على ادائها فر من الجيش ، ولقد نفذ حكم الاعدام علنا بكل من ألقي عليه القبض ، اما بتهمة الفرار من الجيش ، أو بتهمة التجسس لصالح الانكليز (١٤) .

لم يكن مستغربا والحال هذه ان يكون اليهود في مقدمة المرحبين بالغزاة والمحتلين بالطبول والمزامير والموسيقى لدرجة ان المؤرخ اليهودي العراقي ايلي كذوري بعث برسالة الى القنصل البريطاني في بغداد المستر فريزر يقول فيها : يسرني ان اضع قصري الجميل ليكون مقرا لرئاسة الاركان البريطانية ، وتبرع باقامة مستشفى للجيش البريطاني وللجاليات الاجنبية في العراق (١٥) . واطلق يهود بغداد على يوم دخول القوات البريطانية بغداد اسم « يوم الاعجوبة » وذكروه في صلواتهم لسنوات كثيرة . وفرح يهود كركوك بالاحتلال البريطاني لدرجة ان الحاخام الاكبر اقام صلاة خاصة على شرف البريطانيين عندما احتلوا المدينة يوم ٧/٥/١٩١٨ (١٦) .

والواقع ان الانكليز كانوا يؤملون ان يكون اليهود سندا ودعماء لهم في حكم العراق . ففي عام ١٩٠٦ ، زودت القنصلية البريطانية في بغداد احدى المدارس اليهودية بالاموال لتدريس اللغة الانكليزية ، وفي ٢٢/٤/١٩١٨ ، دعا برسي كوكس في رسالة الى اللجنة الشرقية الى الاعتماد على اليهود ، واقترح قدوم وايزمن اذا امكن او ان يبعث بممثل يثق به الى بغداد للتأثير على يهود العراق كي يقفوا الى جانب البريطانيين ، فلما جرى استفتاء ولسن اواخر عام ١٩١٨ وضع اليهود عريضة التمسوا فيها بقاء الادارة البريطانية(٦٧) .

اما بالنسبة لاکراد العراق ، فمع ان قسما منهم قد لبى دعوة الجهاد واشترك في موقعة الشعبة ، وان احدى زعمائهم جواد المنصور ابدى استعدادا لدعم ثوار النجف بالمال ، فانهم ، وبخاصة في السليمانية وكرکوک ، رحبوا بالقوات البريطانية نظرا لسوء معاملة القوات الروسية ، وعقد زعماء الاكراد في المدينتين اجتماعا في ربيع عام ١٩١٨ رحبوا فيه بالحكم البريطاني . ومع ان الاتراك عادوا الى المدينتين الا ان الضابطين السياسيين ، لكفري وتوز ، عاودا الاتصال باغوات الاكراد وبخاصة الشيخ محمود البرزنجي ، وشارك الاكراد عدد من الطوائف المسيحية بهذا الترحيب(٦٨) .

وعلى العموم فان الانجليز واجهوا مصاعب كبيرة عند احتلالهم العراق رغم مساعدات قدمها بعض شيوخ القبائل ، او بعض سكان المدن ، يهودا او اكرادا او عربا . وكما يقول لورنس ظلت جيوشنا في العراق حتى نهاية الحرب جيوشا تحتل ارضا للعدو ، واهل البلاد اما مستسلمون في حياد او يضررون لنا العداء ، ولم تتمتع جيوشنا بحرية الحركة ومرونتها كما حصل لجيوش النبي الذي دخل البلاد صديقا وتقدم فيها واهل البلاد يعاونونه معاونة كبيرة(٦٩) ولم تستطع القيادة الانكليزية في اي وقت ان تعتمد على ولاء الاهلين او تكسب حيادهم على الاقل(٧٠) .

ثالثا - السياسة التركية والبريطانية تجاه العراقيين خلال الحرب :

١ - السياسة التركية : تأثرت مواقف العراقيين خلال الحرب بالسياسة التي انتهجها طرفا القتال تجاه العراقيين . فموقف العراقيين من دعوى الجهاد المقدس التي اعلنها الاتراك تأثر بسياسة الاتراك تجاه العرب عامة والعراقيين خاصة ، ومع ان علاقة العراقيين بالاتراك قبل الحرب لم تكن ودية ، نظرا لسوء الادارة وتضييق الولاة على رؤساء العشائر وأخذ الرشوة والهدايا ، وبخاصة في الفترة بين ١٩١١ - ١٩١٤(٧١) الا أنهم استجابوا لدعوى الجهاد وبدرجات متفاوتة . ولكن الهزيمة التي لحقت بالاتراك والمجاهدين في الشعبة أدت الى تدهور العلاقات تدريجيا بين الطرفين

الى ان توجت بثورة العتبات المقدسة ضدهم في النجف و كربلاء والحلة (١٩١٥ / ١٩١٦) بسبب هزائم الاتراك المتتالية وشكهم وسوء معاملتهم للعرب ، مع اصرارهم على عودة العرب الفارين من الجيش (٧٢) الامر الذي احيا الخوف القديم من الخدمة العسكرية .

فاذا كان العراقيون قد تراجعوا عن تأييد الاتراك ، فمسؤولية ذلك يتحملها الاتراك الذين فشلوا في توظيف الشعور الديني ضد الانكليز ، نظرا لسوء معاملتهم للعرب . فقد حمل قائد الحملة التركي سليمان العسكري المشائر العراقية مسؤولية الهزيمة في الشعبية متهما اياها بالخيانة ، وقال احمد بك اوراق (أحد قادة الترك) : « اننا لو فتحنا الشعبية والبصرة ، يبقى علينا واجب ثان هو فتح العراق ، وخاصة الفرات وعشائر شط دجلة لانهم خونة » فأجابه بدر الرميض زعيم بني مالك : « انتم الخونة للاسلام ، ولولا فتوى العلماء لما وجدتمونا في هذه الساحات التي تقاتل فيها » (٧٣) .

ويروي شاهد عيان وهو عبد العزيز القصاب قائم مقام السماوة ان أحد الضباط الاتراك لحق بالمجاهدين الاكراد الى السماوة قائلا : انه يريد أخذ الترتيبات العسكرية اللازمة لضرب المجاهدين الاكراد الفارين من المنتفك بأمر القائد سليمان العسكري (٧٤) .

ومع ان القبائل العراقية وقفت الى جانب الاتراك في موقعة الحويزة (شط العرب) وشاركت في حرب الانهالك أو الاستنزاف ضد القوات البريطانية في تراجعها نحو الكوت (١٩١٥/١١/٣٠) وفي احباط محاولات فك الحصار عنها ، وفي استرداد الاتراك لها ، الا أن القائد التركي خليل باشا الذي استرد الكويت (١٩١٦/٤/٢٩) رفض مبادلة الاسرى العرب بالاسرى الانكليز قائلا : « ان معظمهم محكوم عليه بالاعدام ولذا يجب اطلاق الرصاص عليهم في حالة عودتهم ، وعلى أي حال فهو لا يريد هم وأضاف : ان ٩٠٪ من العرب غير مواليين أو معادين للاتراك وقد أعدم تسعة اشخاص من اهل الكويت » (٧٥) . وهذا الموقف يذكرنا بحكم الاعدام الذي أصدره القائد التركي بحق قاضي البصرة العربي الذي عاد الى بغداد مع مساعد الوالي بعد احتلال الانكليز للبصرة ، مع أنه كان مواليا للاتراك (٧٦) .

وعندما قامت الثورة في الحلة تشرين اول ١٩١٦ ، ساق الاتراك اليها حملة بقيادة عاكف بك تحت اسم (جيش الانتقام) احتلتها وفتكت بأهلها دون تمييز بين رجل أو امرأة وطفل أو شيخ ومسلح أو أعزل ، وبلغت ضحاياها ١٥٠٠ شخص أعدم منهم علنا (١٢٧) شخصا (٧٧) . لقد اختار الاتراك الحلة بعد انتصارهم في الكويت

لتكون درسا لكل من تراوده نفسه بالثورة على الاتراك بالرغم من تعهدهم لهم بالحفاظ على ارواحهم واموالهم وأعراضهم (٧٨) .

هذه هي السياسة التركية التي نفرت العراقيين من الاتراك وجعلتهم يعادونهم بدلا من مناصرتهم الى درجة أن هادي القزويني دعا الى الجهاد ضد الاتراك لا الانكليز كما اسلفنا .

٢ - **السياسة البريطانية :** اذا كان الاتراك قد فشلوا في توظيف المشاعر الدينية ضد الانكليز ، فهل حاول هؤلاء بدورهم توظيف واستثمار العداء العربي التركي الذي ازداد حدة بعد موقعة الشيبية وثورة العتبات المقدسة (١٩١٥ / ١٩١٦) ، لتثوير العراقيين ضد الاتراك ، ومدّهم بالمال والسلاح مثلما فعلوا مع الشريف حسين في الحجاز . . سيما وأن الدوائر البريطانية في الهند ولندن ، قبل الحرب وبعد نشوبها ، كانت على علم بالعداء العربي التركي وتوقع أن يعمد العراقيون الى تأييد اية حركة مقاومة ضد الاتراك (٧٩) . الواقع ان الانكليز لم يفعلوا ذلك ، وأهملوا عروض الثورة ضد الاتراك قبل الحرب وخلالها بين ١٩١٤ - ١٩١٦ ، حتى محاولة لورنس المدعومة من الخارجية البريطانية رفضها قادة الحملة الانكليزية في العراق التابعين لحكومة الهند البريطانية .

فسياسة الحملة البريطانية - الهندية في العراق قامت على أساس تحييد العراقيين لا اثارتهم ضد الاتراك . والشواهد على ذلك كثيرة ، وعلى سبيل المثال ، خطاب برسي كوكس رئيس الممثلين السياسيين غداة احتلال البصرة ، وجاء فيه : « ليكن معلوما أن الحكومة البريطانية لا تخاصم السكان العرب المقيمين على ضفتي الشط ، وعليهم ان لا يتخوفوا من شيء ، كما أننا سوف لا نتعرض لهم ، ولا لاموالهم اذا وقفوا منا موقفا وديا لا يؤيدون فيه الجنود الاتراك ، أو يحملون فيه السلاح علنا » (٨٠) . وكرر هذا الكلام غداة احتلال القورنة في ١٢/٩/١٩١٤ ، وكرره للمرة الثالثة في ٢٠/٨/١٩١٥ وفي رده على رسالة عطية ابو كلل أحد زعماء مدينة النجف ، التي عرض فيها التعاون مع الانكليز ، « ان السلطات البريطانية لا تعادي السكان العرب ولا ديانتهم ، ولكنها تعادي الاتراك ، شريطة ان يبقى العرب على الحياد وأن الانكليز لن يتدخلوا في شؤون العتبات المقدسة على أن يترك الحجاج الهنود في امان » (٨١) .

كذلك خلا البيان الذي أعلنه الانكليز على العشائر العربية في العراق من الدعوة الى الثورة أو المؤازرة ، وناشدهم : « لا نريد شيئا من جانبكم الا حفظ السكينة

والامان في بلادكم ، ولا تأذنوا لرعاياكم في الالتفات الى كلام الجهال الداعية الى الجهاد لانه ليس في الحرب الجارية ما يتعلق بالاديان » (٨٢) .

ولقد استغلت الدوائر البريطانية اموال وقف (عودة) في الهند (٨٣) لتحجيد
Apart from more general Consideration Their interest in the Oudh Beques
سكان العتبات المقدسة وعدم مشاركتهم في الحرب الى جانب الاتراك
Should teach them on which side their bread is buttered. (٨٤)

ان المحاولة الوحيدة لاشعال ثورة بتشجيع من الانكليز قام بها لورنس بتكليف من حكومته في آذار ١٩١٦ . فائناء تواجده في البصرة (بعد ان فشل في رشوة القائد التركي خليل باشا لفك الحصار التركي عن الكويت) (٨٥) تلقى تعليمات من الكولونيل كلايتون في القاهرة يطلب منه العمل على الاعداد لثورة عربية في العراق وسوف تساعده في ذلك بعثة من القوميين العرب يجري تأليفها في القاهرة ، ووضع تحت تصرفه مبلغ مليون دينار للانفاق على الثورة . واتصل لورنس في البصرة بالمحامي سليمان فيضي وطلب منه العمل على مساعدته . ولكن المحاولة فشلت لعدة اعتبارات تمثلت في انه لم يستطع دغدغة آماني العراقيين الاستقلالية ، لان التعليمات التي تلقاها في البصرة حذرت من الحديث عن مستقبل العراق باستثناء الوعد بعمل كل ما نستطيعه لدعم الاستقلال العربي (٨٦) a simple promise to do all we can to help Arab Independent هذا اولا ، وثانيا فان قيادة الحملة البريطانية في العراق بما في ذلك برسي كوكس كانت تجهل وتعارض في تلك المشاريع . وتوضح تلك المعارضة من رسالة الجنرال ليك Lake التي عارض فيها فكرة ارسال الفاروقي وعزيز علي الى العراق لمساعدة لورنس في مهمته ، وجاء فيها : « يبدو لنا أن وجهات نظرهم وخططهم السياسية سابقة لاوانها وغير مناسبة » (٨٧) .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا لجأ الانكليز ، وبعبارة أدق حكومة الهند البريطانية وقادة الحملة البريطانية الهندية في العراق الى هذه السياسة ؟ يجب على هذا السؤال السر ريدر بولارد : « ان عرب العراق غير الضباط العراقيين الذين كانوا يحاربون في الحجاز وفلسطين ، كانوا قبائل تهتم بالنهب أكثر من أي شيء آخر ، بالإضافة الى أن فكرة استقلال العرب لم تظهر في العراق الا بعد احتلال أكثر من نصفه » (٨٨) . فبولارد يعزو انتهاج حكومته لسياسة تحجيد العراقيين خلال الحرب العالمية الاولى الى عاملين ، عامل اجتماعي يتمثل في الواقع القبلي العشائري في العراق ، وعامل سياسي يتمثل في تأخر الوعي الوطني والقومي الاستقلالي في العراق .

والواقع ان هذه الاسباب ليست مقبولة ، فعرب العراق اكثر استقرارا من عرب الحجاز ، وكفاءة قبائل العراق القتالية تفوق كفاءة القبائل الحجازية . وكبدت الانكليز خسائر فادحة في ثورة العشرين في وقت لم تكن فيه بريطانيا متورطة في ميادين قتالية أخرى . وهذا ما اعترفت به المس بيل : « ان القبائل كانت متخذة جيذا ، وكانت تعبئتها تدل على معرفة بالاساليب العسكرية التركية ، الامر الذي يكشف عن وجود ضباط سابقين عملوا في الجيش العربي والتركي والتحقوا بالثوار » (٨٩) . ولو صح وجود مثل هؤلاء الضباط ، فهذا يوضح ان امكانية تدريب القبائل على القتال وبالتالي الافادة منهم ضد الاتراك كانت متوفرة وميسورة ، كما كان الحال في الحجاز .

كذلك فان الوعي القومي لدى العراقيين ، وتطلعهم الى الاصلاح فاللامركزية (الحكم الذاتي) فالاستقلال كان أسبق ظهورا وأكثر اتساعا في العراق منه في الحجاز ، بدليل انخراط العراقيين في الجمعيات العربية كالحقنانية والعربية الفتاة ، وتشكيل الجمعيات والنوادي السرية العراقية كجمعية العلم الاخضر (الاستانة ١٩١٢) والنادي الوطني العلمي في بغداد ، وجمعية البصرة الاصلاحية (١٩١٣) ، والمشاركة في أعمال المؤتمر العربي الاول في باريس ١٩١٣ . وكانت برامج ونشاطات تلك الجمعيات والنوادي تعبر عن اليقظة القومية وطموح الشعب العربي العراقي في الاستقلال (٩٠) .

ان فكرة الثورة لطرد الاتراك من العراق كانت تراود الضباط العراقيين منذ عام ١٩١٢ . والتقارير البريطانية تشير الى تشكيل جمعية سرية أواخر عام ١٩١٢ ضمت ما يزيد على مائة ضابط عربي لطرد الاتراك من العراق (٩١) . وفي بداية عام ١٩١٤ خطط الضباط العراقيون من جمعية العهد لاشعال الثورة في العراق على أن تمدهم بريطانيا بالعون والمساعدة ، الا أن السفير البريطاني في استانبول حذر حكومته من التورط بهذا العمل (٩٢) . كما عرض عزيز علي المصري مشروع ثورة في العراق على المستر كلايتون في تشرين اول ١٩١٤ ، فكان رده انه غامض وغير عملي وغير مضمون ، كما أن تنفيذه يتطلب بذل الوعود لتأييده الامر الذي سيقود الى اعطاء ضمانات لا نستطيع تقدير مداها (٩٣) .

ويقول أحد تقارير الشرطة في بغداد (تموز ١٩١٧) : « ان كل عربي مسلم في بغداد لديه شيء من الثقافة كان ينتمي الى جمعية لها فروع في جميع البلدان المهمة في العراق ، وهي جمعيات تسمى لاتحاد العرب ومقاومة الاجانب وغرضها طرد الانكليز وتأسيس حكم عربي » (٩٤) . وسارع الضباط العراقيون الاسرى في معسكر سمربور في الهند بعد أن ترددوا وأحجموا عن المشاركة والانضمام الى الثورة العربية في الحجاز ، الى الانضمام الى الثورة بعد أن تبين لهم انها تضمن استقلال البلاد العربية (٩٥) .

فالسبب الحقيقية التي رسمت مسار السياسة البريطانية في العراق خلال الحرب لا تتمثل في ضعف الوعي القومي الاستقلالي في العراق ، او تأخر ظهوره ، ولا في ضعف كفاءة القبائل العراقية وعدم الاستفادة منها ، بل في رغبة حكومة الهند البريطانية بالحاق العراق مباشرة بالهند كبورما الغربية . ولذا فأت اشراك العراقيين في الحرب ضد الاتراك او الاعتراف بالروح الاستقلالية العربية فيه ، سوف يربك التسوية السياسية المستقبلية في العراق ، وكما قال وزير الهند الى وزارة الخارجية ردا على عرض او مشروع عزيز علي للثورة تشرين اول ١٩١٤ .

It is inadvisable to complicate the present and future Political situation in Mesopotamia by introduction of any factor from outside (٩٦)

تمشيا مع هذه السياسة عارضت الدوائر البريطانية الهندية في تشرين الثاني ١٩١٥ فكرة اقامة دولة عراقية او دولة عربية مستقلة تشمل العراق وفقا لرسالة مكماهون للشريف حسين في ٢٤/١٠/١٩١٥ ، بحجة ان هذا العمل غير ضروري وغير ممكن ، وغير مناسب وسابق لاوانه ، وبخاصة ان الشعب العراقي متخلف غير قادر على قبول هذه الفكرة بالاضافة الى ان هذا العمل يتعارض واهداف الحملة على العراق (٩٧) . كذلك عارض قادة الحملة العسكريون عروض الثورة على الاتراك في العراق قبل الحرب وخلالها في الفترة ما بين ١٩١٤ ، ١٩١٦ بما في ذلك محاولة لورنس المدعومة بموافقة وزارة الخارجية في آذار ١٩١٦ . فأوساط رجال السياسة والثقافة والعلم ، والجيش كانوا على اهبة تأييد فكرة الثورة ورفع مبداي الوحدة والاستقلال ولكن تثبيط الانكليز لحماس الوطنيين وعدم تشجيعهم حتى لا يشعروا بأنهم نالوا استقلالهم بأيديهم (٩٨) حال دون ذلك .

كذلك فقد عزلوا العراق عن حركة الوعي القومي العربي ، وحجبوا اخبار الثورة العربية ، ولم ينشروا اخبارها الا بعد ان تعثر الزحف البريطاني نحو بغداد وحوصرت القوات البريطانية في الكوت ، مما اضطرهم الى الطلب من الشريف حسين اعداد المنشور الثاني للثورة ، بناء على طلب برسي كوكس ، لتوزيعه على زعماء القبائل في العراق ، يناشدهم بذل كل ما في وسعهم لمعاداة الاتراك وتعطيل طرق مواصلاتهم ، على اعتبار ان بريطانيا صديقة العرب ، وانهم في مساعدتهم الجيوش البريطانية فانما يساعدون القضية القومية الى حد كبير (٩٩) .

ومع هذا فقد تراجع الانكليز عن هذا الموقف بعد تحسن وضعهم العسكري اواخر عام ١٩١٦ ، لدرجة ان الجنرال مود لم يكن راضيا عن الخطاب الذي القاه (في ١٧/٣/١٩١٧) بعد دخوله بغداد (١١/٣/١٩٧١) لما ورد فيه من عبارات عن

تحرير العرب وانتقاذهم واستعادة مجدهم (١٠٠) ، بحجة انه غير مناسب للاقلية اليهودية البارزة في بغداد ، ولا لبعض الاقليات الاخرى (١٠١) .

وهكذا اختلفت السياسة البريطانية خلال الحرب العالمية الاولى في العراق عنها في الحجاز ، ففي الوقت امدت فيه بريطانيا عرب الحجاز بالمال والسلاح ، وحرضتهم على الثورة ضد الاتراك ، ووعدتهم بدولة عربية مستقلة في قارة اسيا ، نجدها تحجم عن انتهاج سياسة مماثلة في العراق ، وهي وان قدمت الاموال والسلاح احيانا فلكن يقف العراقيون على الحياد وليس من اجل المشاركة في الحرب الى جانبها والسبب الرئيسي في ذلك كله يرجع الى انها لم تكن تطمع بالحجاز في حين كانت لها اطماع استعمارية توسعية في العراق وزاد تمسكها بهذه الاطماع مع تطورات الحرب لصالحها .

الحواشي :

- (١) حول اهتمام بريطانيا بالعراق انظر : ممدوح الروسان : العراق والسياسة العربية (١٩٢١ - ١٩٤١) رسالة ماجستير غير مطبوعة ، جامعة القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٢٨ - ٣٥ .
- (٢) فيليب ايرلند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ١٩٤٩ ، ص ٢٤ ، وقد كرر هذا التصريح ثانية عام ١٩١١ .
Parliamentary Debates, House of Lords, Vol. X 1911, P. 587.
- (٣) عبد الفتاح ابراهيم ، على طريق الهند ، من رسائل الاهالي ، بغداد ١٩٣٥ ، ص ٧٩ .
- (٤) حول الاطماع الروسية في وادي الرافدين ومنطقة الخليج العربي وأثر ذلك على السياسة البريطانية ، راجع الروسان ، ص ٣٧ - ٤٠ .
- (٥) جورج كريك ، موجز تاريخ الشرق الاوسط ، ترجمة عمر السكندري ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٣١ - ١٣٤ . وانظر رسالة اللورد نورث بروك الى وزير الخارجية البريطاني في ١٨٧٦/٣/٢٠ . محمود علي الداود ، الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٥ - ١٩١٤ ، القاهرة د.ت ، ص ٢٦ .
- (٦) لؤي بحري ، سكة حديد بغداد ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ٦٧ ، ١٣٦ .
- (٧) تعليق لاحد الساسة الانكليز على المشروع ، محمد أمين العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ط ١ ، الموصل ، ١٩٢٤ ، ص ٢٦ ، ٤٧ ، وحول نشأة المصالح الالمانية في العراق وأثر ذلك على المصالح البريطانية ، انظر : زكي صالح ، العراق وبريطانيا حتى عام ١٩١٤ ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ٢٣٠ .
Attiyah : Ghassan, Iraq, 1908 - 1921, Beirute 1973, P. 72 .
- (٨) حول سعي ادوارد غراي كسفير لبريطانيا في طهران ، ثم كوزير خارجية بريطانيا من أجل التعاون مع روسيا ، انظر : الداود ، ص ١٧٥ - ١٧٨ .
- (٩) حول الامتيازات السياسية لممثلي بريطانيا في العراق ، انظر : عبد الفتاح ابراهيم ، ص ٤٨ - ٥٤ ، ولونغفرغ ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ١٩٦٢ ، ص ٢٧٤ ، ٣٠١ ، وساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ١٩٦١ ، ط ٢ ، ص ٢٧٤ ، ٣٠١ .
- (١٠) الحصري ، ص ٢١٠ - ٢١٥ ، وعبد الفتاح

- حول أهداف الحملة البريطانية - الهندية على العراق انظر :
a) F. O 371 / 2143, Telegram from Secretary of State of India office to Viceroy, dated STh October 1914 .
- رسالة نائب الملك الى وزير الهند بتاريخ B) F.O. 371/2144 - ١٩١٤/١٠/٧
C) peter Sluglett , Britian in Iraq 1914 - 1932 Loudon, 1967/ p. 9 , and note , (4) , p. 31 .
- وتاونزند ، محاربي في العراق ، ترجمة عبد المسيح وزير ، بغداد ١٩٢٣ ، ص ٦ .
- اشارت مذكرة السفارة البريطانية في استانبول ١٩١٤/٩/٢٢ الى الخارجية البريطانية والتي تسلمتها يوم ١٩١٤/١٠/٧ الى انه في حالة دخول تركيا الحرب فعلى بريطانيا تحطيم قوة تركيا في الجزيرة العربية الى حدود سورية ، وفي العراق الى الموصل ، شبكة ، ص ٢٨ .
- حول دوافع التقدم نحو بغداد كرد قمل لقشل حملة غاليبولي والخوف من التقدم الروسي نحو بغداد ، انظر :
Longrigg , Op. Cit , pp. 72 - 80 , 89 .
- كمال مظهر ، ص ١٣٠ - ١٣٤ .
هذا ما قاله ادوارد غراي للسفير الفرنسي في لندن وبعث به الى السفير البريطاني في باريس بتاريخ ١٩١٥/٣/٢٣ انظر :
F O. 371 / 2486 , Confidential No. 250 .
- وانظر ايضا زين نور الدين ، نشوء القومية العربية ، ص ١١٤ .
- انظر رسالة نائب الملك الى وزير الهند في لندن ١٩١٤/١٢/٧ ، ورد وزير الهند عليه في ١٩١٤/١٢/٩
Fo. 371 / 2144 / 85922
- (١٧) ابراهيم ، ص ١٤٢ ، وبيشون ، الاسس التاريخية لمشكلات الشرق الاوسط ، ترجمة محمد هزة دروزه ، بيروت ١٩٤٦ ، ص ١٣٠ ، ١٣٩ ، وفيليب ايرلند ، ص ٢٣ / ٢ .
Anderson, The Eastern question London, 1960, PP. 266 — 267.
- (١١) لؤي بحري ، ص ١٤٦ / ١٦١ .
(١٢) عبد الرحمن البزاز ، العراق من الاحتلال الى الاستقلال ، القاهرة ١٩٦٧ ص ١٥-١٦ .
انظر أيضا كريك ، مصدر سابق ص ١٤٦ .
Longrigg , Iraq , 1900 - 1950 , London, 1953, P. 77.
- (١٨) ولقد اقترح القائم بأعمال القنصل البريطاني في بغداد في ١٩٠٦/٦/٢٨ القيام بأعمال المسح في نهر دجلة ليس من أجل الملاحه فقط ، بل ومن أجل الحصول على أي معلومات تسهل أي عمل عسكري يمكن أن يجري في بلاد ما بين النهرين مستقبلا :
Attiyah, Op. Cit, PP. 77.
- (١٣) راجع رسالة مكماهون الى الشريف حسين ١٩١٥/١٠/٢٤ في : جورج أنطونيوس ، بقطة العرب ، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ٥٥٧ .
- (١٤) كمال مظهر ، اضاء على قضايا دولية في الشرق الاوسط ، حقائق جديدة عن معاهدة سايكس بيكو ، على ضوء الوثائق الروسية ، بغداد ١٩٧٨ ، ص ١٠٧ .
- (١٥) حول خلفيات الاتجاه العثماني لدخول الحرب الى جانب ألمانيا ، انظر : الروسان ، ص ٤٥ - ٤٦ مكي شبكة ، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٢٢ - ٢٣ ، ٣٥ .
- (١٦) Moberly , The Campaigning in Mesopotamia, London , 1928 , Vol. I, pp. 80, 86 — 87 .
- وزين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية والعلاقات العربية التركية ، بيروت ص ١١٤ .

عبد الرزاق الحسيني ان كاظم اليزدي لم يوافق على دعوى الجهاد بحجة عدم الاستعداد والضعف العسكري كما ان بعض المجتهدين فسر دعوى الجهاد على انها تقتصر على حماية الاماكن المقدسة فقط ، العراق بين دوري الاحتلال والانتداب ج ١ ص ٦٦ ، صيدا ١٩٣٥ . قارن هذا بما أورده كامل سليمان الجبوري ، ٦٣ عاما على حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٥ ، مجلة آفاق عربية عدد ١٠ حزيران ١٩٧٨ ، ص ٥٠ وانظر :

Attiyyah , Op. Cit, p. 112

والنفيسي ، ص ٨٥ - ٨٦ .

أحمد جمال باشا ، مذكراتي ، تعريب علي أحمد شكري ، بيروت ١٩٢٢ ، ص ٢٤٤ - ٣٤٥ .

حول اعداد المجاهدين العراقيين الذين لبوا دعوى الجهاد انظر : كامل سليمان الجبوري ، ص ٣٧ .

Moberly , Vol. Op. Cit , pp. 217 - 218 Longrigg , Op. Cit. p. 84 .

وشبكة ، ص ١٢٥ . ولقد رفض الشيخ خزعل الاستجابة لدعوى الجهاد بحجة انه من رعايا الدولة الايرانية ولكن قبائله العربية ثارت ضده ، ولذا فقد أصبح عبئا على الانكليز بدلا من أن يكون عوناً لهم . بيل ، فصول من تاريخ العراق ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ١٩٤٩ ، ص ٧ ، والوردي ، ج ٤ ، ص ١٤١ وحسين خلف خزعل ، تاريخ الكويت السياسي ، ج ٤ ، ص ٣٢ .

Moberly , Ibid , pp. 173 , 177 .

حول وقوف الشيعة الى جانب الامراك انظر الجبوري ص ٤١ وما بعدها ، والنفيسي ، ص ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ .

ديوان محمد سعيد الجبوبي ، اعداد عبد الغفار الجبوبي ، بغداد ١٩٨٠ ، الجبوبي مجاهدا ص ٥٠ ، فريق المزهري ال فرعون ، الحقائق الناصبة في الثورة العراقية ١٩٢٠

Burgoyne , E , Gertrude Bell (٢٣)
From the Personal Papers ,
1914 -1958, London 1959, p.43.

وهذا ما اشار له تاونزند في آب ١٩١٥ في رسالة الى رئيس هيئة الاركان في لندن ، وتساءل فيها عن المكان الذي يجب أن يتوقفوا عنده في العراق ، وأضاف : انني أرى انه يجب علينا الامساك بما حصلنا عليه وعدم التقدم الى أبعد من ذلك ، رسل برادون ، حصار الكويت ، لندن ١٩٦٩ ، ترجمة سليم التكريتي ورفيقه ج ١ ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ٦٩ .

علي الوردي ، لمحات من تاريخ العراق ، ج ٤ ، ص ١٢٧ ، بغداد ١٩٥٤ والنفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي ، الكويت ١٩٧٦ ، ص ٨٥ - ٨٦ .

حول حرص تركيا على اعلان دعوى الجهاد انظر : لنشوفسكي ، الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر الخياط ، ج ١ ، ص ٨٦ .

Moberly , Vol . I , Op. Cit , p. 80 .

وحول قلق الدوائر البريطانية من دعوى الجهاد انظر : فيليب ايرلند ، ص ٥١ ، وشبكة ، ص ٢٢ ، ٥٦ .

Attiyyah, Op. Cit, pp. 121 - 23, Glubb , Britian and the Arabs , 1908-1958, London 1959, p. 59.

انظر ايضا البيان الذي اذاعته الحكومة البريطانية للشعوب العربية القاطنة في آسيا العربية بتاريخ ١٩١٤/١٢/٤ .

Tibawi : Anglo - Arab Relation and Palestine Question (1914 - 1912) London 1978, pp. 42-43.

ولونفرغ ، العراق (١٩٠٠ - ١٩٥٠) ترجمة وعليق سليم التكريتي ، ج ١ ، بغداد ص ١٤٦ .

علي الوردي ، ج ٤ ، ص ١٢٨ ويذكر (٢٦)

Longrigg Op. Cit, p. 79 .

حول موقف قبائل المنتفك برعامة عجمي باشا
السعدون ومحاولة الانكليز استمالاته بواسطة
كوكس او ابن السعود ، بالإضافة الى بعض
الزعماء الذين شاركوا في موقعة الشعبية
وظلوا محايدين حتى سقوط بغداد ، مثل
سيد هادي القوطر زعيم الشامية وسيد
محسن أبو الطيخ ، والقبايل التي لم
تشارك كقبائل الضفير وشيخ الزبير ، ودور
الشيخ مبارك (شيخ الكويت) في تحريضها
على عدم المشاركة انظر :

Attiyah, Op. cit, pp. 117-120.240

الس بيل ، ص ٣٩ .

Longrigg , Op. Cit , pp. 81 , 85 ,
94 , 96 .

عماد أحمد الجواهري ، تاريخ مشكلة
الاراضي في العراق ١٩١٤ - ١٩٣٢ ، بغداد
١٩٧٨ ص ٢٨٩ ، وحول تبديل المواقف
السياسية لرؤساء القبائل ، وتصويب
الفارز غير النظامية ، العربية والكردية ،
أسلحتها ضد الاتراك وهجمات عشائر الفرات
الاعلى والايوسط المنتظمة على المواصلات
التركية ، انظر : لوتسكي ، تاريخ البلاد
العربية الحديث ، ترجمة عفيفة البستاني ،
موسكو ١٩٧١ ، ص ٤٦٤ ، ٤٧١ .

اسباب ثورة النجف ضد الاتراك انظر
Attiyah , Op. Cit pp. 80 - 81 .

النفيسي ، ص ٩١ ، وكريم وحيد صالح ،
نجم البقال قائد ثورة النجف ، النجف
١٩٨٠ ، ص ٥٦-٦١ ، وعلي الوردى ، ج٤ ،
ص ١٨٨ ، ١٩٦ - ١٩٧ ، ولونفرغ (الطبعة
العربية) ج١ ص ١٤٧ ، وشبيكة ، ج٢ ،
ص ١٢٥ - ١٢٦ .

الى قيادة الفرقة (١٢) البريطانية في
انظر رسالة القيادة البريطانية في البصرة
الى قيادة الفرقة ١٢ البريطانية في
الناصرية (١٩١٥/٨/٢٠) ردا على رسالة
عطية ابو كلل احد قادة ثورة النجف الى

ونشائجها ، بغداد ١٩٥٢ ، القسم الاول ،
ص ٢٨ - ٣٩ .

(٣١) بيل ، ص ٤ ، ٨ وشبيكة ، ص ١٢٥ ، وعبد
المعز القصاب ، ذكرياتي ، بيروت ١٩٦٢ ،
ص ١١٤ - ١١٥ .

(٣٢) الحسيني ، العراق بين دوري الاحتلال
والانتداب ، ج١ ص ١٧ .

(٣٣) Fo. 371 / 2486 / 97255 Grey ,
Political , Agent Kuwait to
Palitical Dep. India Office , 19
July 1915 .

انظر ايضا : شبيكة ، ص ١٢١ - ١٢٦ .

(٣٤) انظر ما يرويه علي جودت الابويي حول
اسباب الهزيمة في الشعبية ممثلة في الاسلحة
البالية ونقص وسائل النقل وعده توافر
الماء والطعام ، ذكريات ، بيروت ١٩٦٧ ، ص
٣٣ ، وفريق الزهر ، ص ٣٩-٤٠ .

Moberly , Vol II , pp. 109-110 . (٣٥)

ولقد اشاد ولسن بشجاعة بني طروف في
حربهم ضد قوات تفوقهم عددا وعدة ولاسيما
تجاه القصف المركز بالدفعية والرشاشات
ولكنهم صمدوا صمودا رائعا ، النفيسي ،
ص ٩٤ ، وحول الخسائر التي لحقت بالقوات
البريطانية اثناء تقدمها نحو العمارة ومعركة
الناصرية ، انظر : رسل برادون ، ص ٥٦ ،
٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦ - ٨٧ ، والنفيسي ص ٩٦ ،
٩٧ .

(٣٦) النفيسي ، ص ٩٥ - ٩٧ ، ولقد اتهم
تاونزند العرب بالتجسس لصالح الاتراك ،
وراقب في تقدمه نحو العمارة جنوده وهم
يتساقطون من زوارقهم او يقطع عرب الاهوار
المتربصين حناجرهم /رسل/ ٥٦/ن ص ٥٦ ،
٢١٩ ولكنه يتجاهل ما فعلته القوات
البريطانية بالعرب اثناء تقدمها نحو العمارة ،
النفيسي ، ص ٩٧ .

(٣٧) النفيسي ، ص ١٠٣ .

Longrigg , Op. Cit p. 81 .

(٣٨) والترجمة العربية ، ص ١٣٤ ،

ويتهم النفيسي عطية أبو كلل بترعره ،
وقيامه بأعمال استفزازية بهدف دفع الانكليز
وحملهم على اتخاذ اجراءات صارمة ضد
النجف في محاولته جمع صفوف النجفيين الى
جانب الاثراك .

النفيسي ، ص ٦٧ .

انظر نصها في الحسني ، ص ٦٢-٦٣ .
Attiyah , p. 231 .

الحسني ص ١١٦ - ١١٩ ، ولقد نسب
النفيسي موقف القبائل الى تفوق الانجليز
بالسلاح ، وعدم تسليح القسرى المجاورة
للنجف لان مكانة النجف توفر لهم السلامة
مقرونا ذلك بسياسة الانجليز المثلة بتقديم
السلف والقروض والمعونات ورفع الضرائب
المفروضة على الارض ومحاصيلها وخففوا
وطأة الاجراءات الحكومية بين القبائل وهو
وان كان يدافع عن موقف المجتهد الاكبر
محمد اليزدي الا انه اعترف بان الشوار
كانت تعوزهم مساندة المجتهد الاكبر روحيا
ومعنويا ، النفيسي ص ٦٠-٦١ .

Fo. 371/3397 , Collection of
Fortnightly Reports by the
Civil Commion are Report No.
12 April 15 to May I 1918 .
Fo. 371 / 4149 / 77939 , From
Political officer Baghdad, dated
May 13 , 1919 .

ولقد رفض اليزدي التوسط لدى السلطات
البريطانية للحيلولة دون تنفيذ حكم الاعدام
في احد عشر شخصا من المشاركين في ثورة
النجف ، علما بان حاكم الشامية الكاتبين
بلفور اتصل به وسأله ان كان لديه ما يقوله
بحق الحكوميين ولكنه لم يقل شيئا . الحسني
ثورة النجف ، ص ١١٤ . يذكر النفيسي
انه توسط لتخفيف الحكم بحق بحر العلوم
(ص ٦٢) . ويصف موقف اليزدي تجاه الانكليز
بانه شكل من اشكال التقية ، ص ١٢٣-١٢٤ .
ايرلند ، ص ٦٣ .

قيادة الفرقة (١٢) بتاريخ ١٣/٨/١٩١٥ .
F. O. 371 / 24 , 89 .

وانظر : وميض عمر نظامي ، الجدور
السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة
القومية العربية الاستقلالية في العراق
بيروت ١٩٨٤ ، ص ١٢٨ .

(٤٩) كذلك فقد طالب محمد علي كمونة احد
(٥٠) زعماء كربلاء كوكس (تشرين اول ١٩١٥)
(٥١) الاعتراف به اميرا على المنطقة الممتدة من
سامراء الى النجف ، فرد عليه ردا وديا مع
مبلغ من المال ، واستمر ارسال هذا المبلغ
للحفاظ على ولائه :

Attiyah, Op. Cit p. 227, Note (i)

(٤٣) وصف النفيسي اولئك الذين زاروا بغداد
بالادعياء الذين لا يمثلون ارادة الشعب وانهم
يبغون نفعا ماديا ، مصدر سابق ، ص ٥٣ .
وحول تطور الاحداث في النجف الى درجة
الثورة انظر الحسني ، ثورة النجف ،
بيروت ١٩٧٨ ، الصفحات (٢٢-٤٢) .

(٤٤) ذكر الحسني في كتابه ثورة النجف ص ٣١ ،
(٥٢) ان الجمعية تأسست في بداية عام ١٩١٧ ،
ولكنه لم يورد تاريخا محددا لتأسيسها في
كتابه « العراق بين دوري الاحتلال والانتداب »
ص ٣٦ ، اما العطية فذكر ان الجمعية
تأسست اواخر عام ١٩١٧ ص (٢٢٩)
(٥٣) فروايتا الحسني والعطية تتفقان على ان
تأسيس الجمعية جرى في عام ١٩١٧ ، أي
قبل ثورة النجف في اذار ١٩١٨ ، انظر ايضا
كريم وحيد صالح ، ص ٦٥/٦٦ .

(٤٥) كان من بين المجتهدين الذين لبوا دعوى
الجهاد ، ورفض ما عرضه الانكليز من
اموال لوقف مساعيه ضدهم والذهاب الى
ايران مقابل (١٠٠٠) جنيه

Attiyah , Op. Cit , p. 229

(٤٦) الحسني ، ص ٣١ - ٣٣ ، وكريم وحيد
صالح ، ص ٧١-٧٢ .
(٤٧) الحسني ، ص ٤٦ .
(٤٨) الحسني ، ص ٣٣ ، Attiyah , p. 230

وراجع أيضا الايوبي ، ذكريات علي جودت ، ص ٣٧ - ٣٨ ، وشبكة ج٢ ص ١٢٥ ، ١٢٩ .

(٦٤) انظر : غنيمه ، تاريخ اليهود في العراق ،

بغداد ١٩٢٤ ، ص ١٨١ - ١٨٢ ، والغزوي ، لمحات ، ج١ ، بغداد ١٩٥٦ ، ص ٢٢٨ .

(٦٥) فاروق العمر ، حول السياسة البريطانية في العراق (١٩١٤ - ١٩٢٠) بغداد ١٩٧٧ ،

ص ٢٢ ، النفيسي ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

حاييم كوهين ، النشاط الصهيوني في العراق مترجم عن العربية ، مركز دراسات فلسطينية ، بغداد ١٩٧٣ ، ص ٩ .

النفيسي ، ص ١١٦ - ١٢٦ .

طالب مشتاق ، أوراق أيامي ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٨ - ١٩ ، وبيل ، ص ٢٩ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٧ ، بيل ، طبعة ١٩٧١ ، ص ١٣٨ ، ١٤٥ .

لورنس ، اعمدة الحكمة السبع ، ترجمة سليم النعيمي بغداد ١٩٤٧ ، ج١ ، ص ٥٧ .

بيل ، ص ٩٠ .

انظر حول الموضوع ، لطفي فرج ، عبد الحسن السعدون ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٩٨-٩٧ ،

وعماد احمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الاراضي ، ص ٧٢ - ٧٥ ، فريق الزهر ، القسم الاول ، ص ٢٧ - ٣٥ .

قدر عدد الفاريس من الجيش العثماني والممتحنين الى النجف والحلة وكربلاء ب٢٦ الفا ، وحول اسباب ثورة العراقيين ضد الاتراك وخاصة في العتبات المقدسة بعدموقعة الشعبية انظر : النفيسي ، ص ٩١ ، والجبوري ص ٥٠ .

سليمان الجبوري ، افاق عربية ، ص ٤١ ، وفريق الزهر ، الحقائق الناصعة ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، بيل ص ٥٩ ، علي جودت ، ص ٣٤ .

راجع حول هجمات العراقيين على قائممقامية السماوة ، وردود الفعل التركية ، عبد العزيز القصاب ، ذكريات ، ص ١١٤-١١٥ ، ١٢٢ - ١٣٠ ، ١٣١ - ١٣٣ .

(٥٥) Cmd , 8074 , Despatches Rega-
rding operations in Persian
Gulf and Mesopotamia 1915 ,
p. 8 , Longrigg , p. 78 .

يلذكر رسل برادون (ص ٢١) أن أهالي البصرة لم يهتموا كثيرا بالضيوف (الثقلاء) وفي

حالة من حالات الكراهية الفطرية المتبادلة استقر كل جانب على استغلال الجانب الاخر .

(٥٦) حول مساعي طالب النقيب خلال هذه الفترة انظر : شبكة ، ص ٣٣ - ٣٥ ، سليمان

فيضي ، في عمرة النضال ، بغداد ١٩٥٢ ، ص ١٨٩ - ١٩٢ .

والمس بيل ، ص ٣ ، وميض جمال عمر نظمي ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ١١١ - ١١٢ .

(٥٧) A. Musil, The Middle Euphrates
Newyork , 1927 , pp. 128 0 29.

(٥٨) راجع : عبد العزيز القصاب ، ذكريات ، ص ١٧٤ - ١٧٦ ، والمعري ، تاريخ مقدرات

العراق السياسية ، ج١ ص ١٣٥ - ١٤١ ، ١٤٩ ، ج٣ ص ٥٩ .

(٥٩) Fo 371/2771 / 125694, Secret,
No. 5, Arad Bureou Report ,
dated Cairo 18th June 1916 .

(٦٠) Fo. 371/2775/ 196 445 .
Telegram from General Officer

Commanding Force (D) dated
15th August 1916, to chief of
General Stalf Simla .

المعطية ، ص ٩٦ ، وانظر ايضا نظمي ، ص ١١١ .

(٦١) Attiyah Op. Cit , p. 100 .

(٦٢) انظر الحديث الذي اجراه العطية مع توفيق وهبة حول الموضوع

Attiyah , ibid , p. 102 .

(٦٣) انظر التقرير السري الذي اعده ابراهيم دمعري سكرتير ريجنالد ونجت خلال زيارته الى جدة وينبع في الفترة ما بين ٧/٣ -

Attiyah, ibid , 104 ، ١٩١٦/٨/١٧

قد اقرض حكومة الهند عام ١٨٢٥ مبلغ (١٠) ملايين روبية بفائدة ٥٪ توزع على فقراء النجف وكربلاء بصورة دائمة ، الحسين ثورة النجف ص ٧٨ . وحول كيفية توزيع موارد الوقف واسماء المجتهدين الذين كانوا يتلقون المال ، انظر ، نظمي ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٨٤) رسالة لويس مالت ، السفير البريطاني في استانبول الى وزير الخارجية ادوارد جراي ، في ١٩١٤/٩/٢٥
Fo. 371 / 2140 / 53073 Confidential No. 857 .

(٨٥) حول محاولة شراء حرية تاونزند وقواته بمليون جنيه انظر : راسل برادون ، حصار الكوت ، ج٢ ، ص ١٥١ ، ولونغريغ ، الترجمة العربية ، ص ١٥١ ، النفيسي ، ص ١٠٦ .
F. O. 882/ 15 , 26 March. 1916, Phillip Knightly , Op. Cit , pp. 61 - 67, A Special Mission .
F.O 371 / 2768 / 61639 , From General Lake to secretary of State for India , Basrah 30th March 1916 F.O. 882/15, 8April 1916. Longrigg, p. 87 .

(٨٨) بولارد ، بريطانيا والبلاد العربية من اقدم العصور حتى عام ١٩٥٢ ، ترجمة د. حسن احمد سليمان ، بغداد ١٩٥٦ ص ٩٩ ، ٩٨ .
Longrigg , p. 115 .

(٨٩) بيل ، ص ١٦٢ .
(٩٠) حول بداية ظهور الوعي القومي في العراق وعوامله انظر :

١ - صالح محمود منسي ، حركة اليقظة العربية ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٦ - ١٤٩ .

٢ - فاضل حسين ورفيقه ، تاريخ العراق المعاصر ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٧٠ - ٧٦ .

٣ - عبد الكريم رافق العرب والعثمانيون ، دمشق ١٩٧٤ ، ص ٥٤٠ ، ٥٥٦ .

(٧٥) تقرير لورنس السري الى وزارة الحرب
Fo. 882/8/May 1916 , Phillip Nightly and colin simpson
secret lives of Lawrence of Arabia pp. 64-65 London, 1971

وحول معاملة الاتراك السيئة لسكان الكوت انظر :
Longrigg, p. 87 .

ويذكر قناري فلمجي: ان الذين اعدمهم خليل باشا كانوا (٤٠) وجيها واهدى نسايم الى ضباطه وجنوده ، جبل الغداء بيروت ١٩٦٧ ، ص ٤١ .

(٧٦) العمري ، مقدرات ، ج١ ، ص ١٠٢ .
(٧٧) فريق الزهر ، ص ٤٣ ،

Attiyah p. 80, Longrigg, p 85

(٧٨) سعد ابو دية ، قاسم محمد صالح ، الثورة العربية الكبرى ، الجانب الفكري ، عمان ، ١٩٩١ ، ص ١٥٥ - ١٥٧ .

(٧٩) حول توقع المسؤولين البريطانيين وقوف العراقيين الى جانبهم ، اذا ما شجعوا حركة المقاومة ضد الاتراك انظر : تعليق فيتسموريس ، خبير الشؤون العربية في الخارجية البريطانية ، على مذكرة السفارة البريطانية في استانبول والمعروفة بمذكرة ريان Rayan ١٩١٤/١٠/١١ ، شبكية ص ٣٠ ، وتقرير القنصل البريطاني في البصرة المستر Grow حول توتر العلاقات العراقية التركية في تقرير له عن طالب النقيب ١٩١٥/١/٣ ، شبكية ص ٥٠ .

Moberly , Op. Cit , Vol. I, p. 133 - 39 .

(٨٠) بيل ، ص ٢٣ ،
Glubb : Britian and the Arabs
1908 - 1958 , London , 1959 , pp. 99 - 100 .

(٨١) راجع هامش (٤٢) ، وانظر : نظمي ، ١٠٩ .

(٨٢) الغزاوي ، ج٨ ، ص ٢٦٤ .

(٨٣) كان ملك اوراجا « عودة » غازي الدين حيدر

- (٩٥) تقرير معسكر سمربور
F. O. 371 / 3050 , 8/4/1917 .
- انظر شبكة ، ج ٢ ، ص ١٣٠ ، ١٣٩ .
F. O. 371 / 2140 / 8 / 700 ,
From India Office to F.O dated
11 the December 1914 .
- انظر شبكة ، ج ١ ص ٥٨-٦٣ . ولقد
استغرب لونغريغ عدم استخدام قوات عربية
في العراق بعد ان نجحت العملية في الحجاز
Longrigg , p. 115 .
- راجع مراسلات الدوائر البريطانية الهندية
وقادة الحملة البريطانية في العراق مع لندن
بتاريخ ٩٦٤٤ ، تشرين ثاني ١٩١٥
Attayah , pp. 134 - 35 .
- انيس صايغ ، الهاشميون والثورة العربية ،
بيروت ١٩٦٦ - ص ٩١-٩٢ .
- النفيسي ، ١٨٨ - ١٨٩ ، سليمان موسى ،
الحركة العربية ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٨٤
نقلا عن رسالة المعتمد البريطاني في جدة
FO. 686/7, 17/8/1916
- وفيليب ايرلند ، حول منع نشر اخبار الثورة
ص ١٨٣ .
- الحسني ، ثورة النجف ص ٩ - ١٠
H. C. Debates Vol. 139 , March
1917 p. 2402 .
- انظر نص البيان ملحق (١) ، النفيسي ،
ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
- F. O. 371 / 3042 , From Political
Officer , Basra , General
Maud's Telegram of 16 March
1917 .

- ٤ - علي محافظة ، نقد كتاب المؤتمر العربي
الاول ١٩١٣ ، مجلة المستقبل العربي ،
بيروت ، عدد (٢٢) ، ١٩٨٠ ، ص ١٤٤
١٤٨ .
- ٥ - د. وميض عمر نظمي ، شيعة العراق
وقضيته القومية العربية ، مجلة
المستقبل العربي ، بيروت اعداد
(٤٢-٤٣) لشهر ٨ ، ٩ ، ١٠ /
١٩٨٢ / ص ٩٠-٩٤ .
- ٦ - حول اهداف جمعية البصرة الاصلاحية
انظر : زين نور الدين زين ، نشوء
القومية العربية ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .
بيروت ١٩٦٨ .
- ٧ - فيليب ايرلند ، ص ١٧٦ ، ومذكرات
السويدي ، ص ٢٥ .
- (٩١) Fo. 371 / 1796 / 2241, Confederal
Despatch Summary of
Events in Turkish Iraq for
december 1912 , by Acting
Consul General Baghdad, Atti-
yah p. 99 .
- وقد تكون هذه الجمعية هي جمعية
الدفاع المقدس السرية التي تحدث عنها عماد
عبد السلام في مجلة افاق عربية ، بغداد ،
عدد ٧ ، ١٩٧٩ .
- (٩٢) راجع ما سبق ذكره ص ١٣ .
- (٩٣) انظر مشروع عزيز علي للثورة في العراق
وموقف الدوائر البريطانية منه سواء في
القاهرة او لندن او نيودلهي ، شبكة ص
٥٨ ، ٦٣ .
- (٩٤) فيليب ايرلند ، ص ٤٨ .

